أبطال الإسلام

مصعب بن عمير..

حامل لواء الجهاد

الدكتور
طارق البكري

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مصعب بن عمير..

حامِلُ لِواءِ الجِهاد

تُرى... هل كان مُصْعَبٌ في شَبَابِه يتوقّعُ الموتَ شهيداً في مَيدانِ المعركةِ؟

هذا الفتى القُرَشيُّ المنعَّمُ ، كيف تَرَكَ غِنَاهُ وثَروتَه ، ورَغَدَ العيشِ ، وفَضَّلَ قَسْوةَ الغُربةِ وغَضَبَ الأمِّ والأبِ والقبيلَةِ؟

من أسلوبِ عيشٍ مليءٍ بالرّفاهيةِ.. إلى ثِيابٍ خَشِنَةٍ مرقّعةٍ.. نقلةٌ كبيرةٌ ، ما كانتْ لِتَحْدُثَ لولا ذلك الإيمانُ الحقيقيُّ.. البعيدُ عن كل زَيفٍ وتَبريرٍ وحُجَجٍ..

إننا نتحدّثُ عن الصحابيّ الجليل مُصْعَبِ بنِ عُميرِ بنِ هاشمٍ القرشيِّ ، أبي عبد الله.. صاحبِ اللواءَيْن ، لواءِ معركةِ بَدرٍ ولواءِ معركةِ أحدٍ.

كان رضي الله عنه أنْعَمَ غلام في مكةَ قبلَ الإسلامِ ، وكان أكثرَ شَبابها جمالاً وأناقةَ ثَوبٍ.. أبواه غنيّانِ ، يُحبّانِه حبّاً عظيماً ، يرتدي أحسنَ ما يكون من الثيابِ ، يأكلُ أفضلَ الطعامِ ، يعيشُ في بيتِ عزٍّ وجَاهٍ... وقيل: إنه أعطرُ أهل مكةَ في زَمانهِ.

كان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «ما رأيتُ بمكةَ أحْسَنَ لِمَّةً (شَعْرَ الرأس) ، ولا أَنْعَمَ نِعمَةً من مُصْعَبِ بنِ عُميرٍ».

أسْلَمَ مُصعَبٌ في بدايةِ الدعوةِ ، كان ترتيبُه بعدَ عَشَرةِ مسلمينَ ، كَتَمَ إسلامَه خوفاً من أمِّه وقبيلتِهِ..

سَمِعَ عن النبيِّ ﷺ في أَحَدِ أنديةِ قُريشٍ ، سار

إليه ليسمَعَ كلامَه ، يتأمّلَ حقيقةَ الدعوةِ ، سمع وفكّر... آمَنَ وأسْلَمَ ، هَجَرَ متاعَ الدنيا وزينَتَها مطمئنّاً راضِياً شاكِراً خاشِعاً.

تمضي الأيام ، فيزدادُ مصعبٌ حُبّاً لهذا الدينِ الجديدِ... يبتعد عن فتيانِ الحيِّ وأبناءِ الأثرياء.. ينصرفُ مُصعبٌ إلى أماكنَ بعيدةٍ يدعو اللهَ ويُصلّي... يتأمّلُ بالسِّرِّ بعيداً عن رَقابةِ أمهِ... كان يُحبّها كثيراً ، يعلمُ أنها لن تتخلّى عن دينِها وأوثانِها بسهولةٍ.. قد تَغْضَبُ عليه.. فَضَّلَ الصَّمْتَ وانتظارَ مشيئةِ اللهِ...

أُمُّهُ شَعَرتْ بما في رأسِ ابنِها وَقلبِه.. راحتْ تَسْأَلُ وتَبحثُ وتُدَقّقُ.... حتى أتاها الخبرُ اليقين... مصعبٌ دخل في دينِ محمَّدٍ ﷺ أخذَهُ أهلُه وحَبسوهُ... ظَلَّ محبوساً مدةً من الزمن... لكنه صَمَدَ ولم يتراجَعْ..

لما رأى رسولُ اللهِ ﷺ ما أصابَ أصحابَه من

بَلاءٍ... ومن بينهم مُصْعَبٌ ، رضي الله عنهم جميعاً ، أمرَهُم بالهجرةِ إلى الحبشةِ ؛ لأنّ فيها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ... وهي أرضُ صِدْقٍ... حتى يَجعلَ اللهُ للمسلمين فَرَجاً ممّا همْ فيه..

كان جميعُ من لحِقَ بأرضِ الحبشةِ ، وهاجَرَ إليها من المسلمين سِوى أبنائِهم الذين خَرجوا معهم صِغاراً ووُلدوا فيها ، ثلاثةً وثمانين...

أما مصعبٌ فقد كان أحدَ العشَرةِ الأوائِل الذينَ هاجَروا إلى الحبشةِ ، ظَلَّ هناك حتى سَمِعَ المهاجرون أن مكة دخلتْ في الإسلامَ ، فعادوا مُسْرِعين فرحين.. لكنهم اكتشفوا عند وصولِهم إليها أن ما وصلَهم لم يكنْ إلا خبراً كاذباً...

عاد مصعبٌ في أشدِّ مراحل الدعوة وأشقِّها بلاءً...

كان النَّبيُّ محمدٌ ﷺ يَعرضُ الإسلامَ على من يأتي مكةَ من القبائِل ، التقى برجالٍ من المدينةِ

المنورةِ ، عَرَضَ عليهم الإسلامَ فآمنوا وحَسُنَ إسلامُهم ، رأى رسولُنا الكريمُ ﷺ أن يُرسلَ معهم مصعبَ بنَ عميرٍ رضي الله عنه ، إلى أهل المدينة ، ولعلّه بذلك أولُ سفيرٍ في الإسلام ، اختاره الرسولُ ﷺ من بين أصحابه جميعاً ليتولّى مسؤولية نَشْرِ الدعوةِ في المدينةِ ، وتعليم أهلِها القرآنَ ومبادىءَ الدينِ الجديدِ. رحل مُصْعَبٌ إلى المدينةِ ، في مهمَّةٍ خطيرةٍ ، في مهمّةٍ يُمثل فيها الرسولَ ﷺ ، لو لم يكنْ مصعبٌ في مكانةٍ علميةٍ وإيمانيةٍ عاليةٍ لما اختارَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لهذه المهمةِ ، فقد كان الرسولُ ﷺ يذهبُ بنفسِه إلى خارجِ مكةَ يدعو الناسَ إلى دينِ اللهِ.. لكنه اختارَ مصعباً ليقومَ بأشرفِ مهمّةٍ.... ليكونَ داعيةَ الإسلامِ في مدينةِ النور...

بدأتْ مهمةُ مصعبٍ من اللَّحْظَةِ الأولى التي دَخَلَ فيها المدينة ، ما أن سَمِعَ كفارُ المدينة

بوصولِه حتى أتَوا بحِرابِهم ، كان منهم أُسَيدُ بنُ حُضَير ، سَيِّدُ قومِه من بني عَبْدِ الأَشْهَلِ ، فراحَ يَشْتمُه ، كلّمه مُصْعَبٌ بالإسلام ، قرأ عليه القرآن.. قال: ما أحْسَنَ هذا الكلامَ وأجْمَلَه! أسلَمَ على الفَورِ ، قام ودعا سَعْدَ بنَ معاذ سيدَ الأنصارِ ليلتقي بمصعبٍ ، أشْرَقَ وجهُ سعْدٍ -رضي الله عنه -... بإسلامِه أسْلَمَ ناسٌ كثيرون ، حتى لم تَبْقَ دارٌ من دور الأنصارِ إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون.

هكذا أسْلمَ عددٌ كبير من أهل المدينة ، لم تَمْضِ ساعاتٌ على وصولِ مصعبٍ إليها.. سبحانَ اللهِ على إيمانِ هذا الرجلِ.. بلسانِه ، من دون أيِّ وسيلةٍ أخرى استطاعَ أن يَهْدِيَ مدينةً بكامِلها.. المسلمون اليومَ يملكون ملايين الوسائل ، يعجزون عن هدايةِ إنسانٍ واحدٍ ، إن لم يَسْعَ هذا الإنسانُ بنفسِه إلى الهدى والرشادِ.

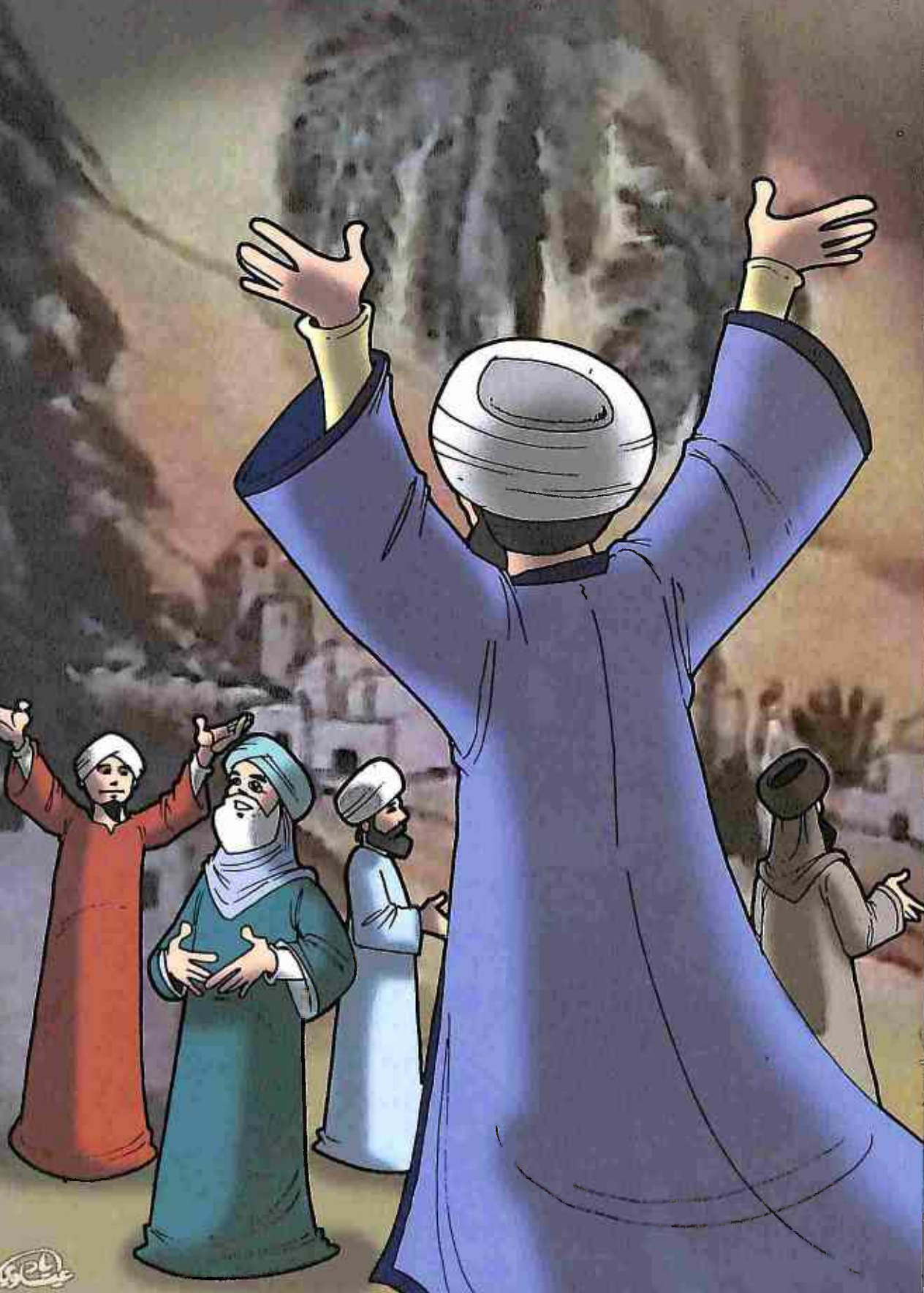

بعد ذلك عادَ مُصعبٌ إلى مكةَ ، شوقاً إلى رسولِ الله ﷺ ، فقد اطمأنّ إلى انتشارِ الإسلامِ بالمدينةَ ، يُريدُ أن يُبَشّرَ الرسولَ الكريمَ بذلك ، كانت فرحتُه كبيرةً ، بتوفيقِ اللهِ له ، ونجاحِه في المهمّة ، وسرعةِ إنجازِها ، ليتمكّنَ من رؤيةِ الرسولِ ﷺ من جَديدٍ.

ما إنْ عادَ إلى مكةَ ، حتى جاءت الوفودُ من المدينةِ تدعو رسولَ اللهِ إلى الإقامةِ فيها ، عاهدتْهُ الوفودُ على الوفاء والحربِ والدِّفاعِ عن الإسلامِ والثباتِ على العهدِ تحتَ أيِّ ظرفٍ... وكان المسلمون في مكةَ يُعانونَ أشدَّ العذابِ.

لما رأى الرسول ما أصابَ أصحابَه في مكةَ... وإصرارَ أهلها على الشِّركِ ، ووجد في المدينةِ أرضاً طيبةً لبناءِ دولةِ الإسلامِ أمرَ أصحابَه بالهجرةِ إليها، قال ﷺ: «إنّ الله عزّ وجل قد جَعَلَ لكم إخواناً وداراً تأمنون بها».

فخرج المسلمون التزاماً بأوامِر النبيِّ ﷺ ، وتركوا بيوتَهم وأموالَهم وممتلكاتِهِمْ ومَنْ كان من أهلِهِمْ على الشّركِ.

لبّى مُصعبٌ نداءَ المدينةِ من جديدٍ... وعاد إليها مرةً ثانيةً ، في جماعةِ المهاجرين.

المدينةُ لا تزالُ تَذْكُر مُصْعباً.. سَفيرَ الدعوةِ الأولَ.. استقبلتْهُ بالتَّرحابِ ، فله فيها أحبّةٌ وأصدقاءُ لا يَنْسَون فَضْلَه عليهم بدخولِ الإسلامِ... كان له تكريمٌ خَاصٌّ.. أبى سعدٌ بن معاذٍ سيّدُ الأنصارِ رضيَ اللهُ عنه إلا أنْ يكونَ مُصعَبٌ في ضِيافتِه... في دارِ بني عَبْدِ الأَشْهلِ.

عاش مُصْعبٌ في المدينةِ مترقّباً وصولَ رسولِ اللهِ ﷺ ، انتظرَ بشوقٍ... قام مع أهلِ المدينةِ منَ الأنصارِ والمهاجرينَ باستقبال سَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ ، وتَهَلّلتْ أنوارُ المدينةِ. أعلنَ الرسول ﷺ عن بناءِ المسجدِ النبويِّ الطاهرِ... عملَ

مُصعبٌ مع العاملين في بناءِ المسجدِ ، عاش في جِوارِ النبيّ ﷺ يعلّم... يُحفِّظ القرآن... يَتَرَقّبُ نزولَ الوحي... يُنفّذ أوامرَ النبيّ ﷺ... حُبّاً... وتوقيراً... وإيماناً برسالةِ الإسلامِ ، ويقيناً بدينِه الذي تَرَكَ من أجلهِ كلَّ شَيءٍ..

بعد مدة قصيرةٍ... حدثتْ معركةُ بَدْرٍ.. سَلَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ لواءَ المعركةِ إلى مُصعبِ بنِ عُميرٍ... اختارَه ﷺ من بين المسلمينَ جميعاً ليحملَ اللواءَ... كان أبيضَ اللونِ.. وفي ذلك تشريفُ له عظيمٌ من قائدِ الأمةِ ﷺ.

اندلعتِ المعركةُ... تقدّمَ مُصْعَبٌ... اخترقَ الصّفوفَ... كيف يخاف؟! ماذا يَخْشى؟ وفي يدِهِ رايةٌ سَلّمها له أعظمُ البشرِ..

انجلتِ المعركةُ عن فوزٍ كاسحٍ للمسلمين.

بعد المعركةِ حَدَثَ أمرٌ جَلَلٌ.. يُظْهِرُ مدى

إيمانِ مُصْعَبٍ وَحُبّه لدينِه الذي لا يُماثله حبٌّ مهما كانت قيمَتُه.

رأى مصعبٌ أخاه أبا عَزيز بين الأسرى... أقبل مُصْعَبٌ مُسرعاً نحو الرجل الذي كان يأسره ، قال له: أمْسِكه جَيِّداً... لا تَتَخَلَّ عنه ، إن أمّهُ غنيةٌ... لعلها تَفْديهِ منكَ بمالٍ وفيرٍ.

قال أبو عَزيز: يا أخي... هذه وصاتك بي؟

قال مُصعبٌ: إنه أخي دونَك (يقصد من يأسره).

وبالفعل ، صدقتْ توقّعاتُ مصعبٍ.. لأنّ أمه سألتْ عن أغلى ما فُدي به قرشي... فقالوا لها: أربعةُ آلافِ درهمٍ.. فبعثتْ بأربعةِ آلافِ درهمٍ... فَدَتْهُ بها.

لم تَسْكُتْ قُريشٌ على هزيمتِها ببدرٍ.. أعدَّت العُدّةَ ، جَهّزَتِ الجيوشَ لمحاربةِ المسلمينَ من جَديدٍ.

جاءتُ قريشٌ تَثْأَرُ لقتلى معركةِ بدرٍ.

استعـــدَّ المسلمـــون للقتـــالِ... وجَهّـــزوا أنفسَهم...

كانت المفاجأةُ الجديدةُ لمصعبٍ... اختاره الرسولُ ﷺ ليكونَ حاملَ لواءِ جيشِ المسلمين في المعركةِ التي سُمّيتْ بمعركةِ أُحُد..

قاتل المسلمون باستِبْسالٍ شديدٍ.. كان مصعبٌ يُجاهدُ ويرفعُ لواءَ المسلمين... وكانت أمهُ وأخوه أبو عَزيز في صفوفِ المشركين..

أصـــاب المسلميـــنَ مـــا أصـــابَهـــم فـــي تلـــكَ المعركةِ ، لم يَبْقَ مع الرَّسولِ ﷺ إلا ثُلَّةٌ من أصحابِه ، قاتلوا معه قِتالاً شديداً ، كان من بينهم مُصعبٌ ، ظلَّ يقاتلُ ويرفعُ اللواءَ حتى قُتِلَ.... لما قُتِل رضي اللهُ عنه ، سَلَّم رسولُ اللهِ ﷺ ابنَ عمه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه اللواءَ...

كان لمقْتَلِ مُصْعَبٍ أثَرٌ عَظيمٌ وقصةٌ بطوليةٌ خالدةٌ قلّما تَعْرِفُها الحروبُ...

كان مُصْعَبٌ يحملُ لواءَ المسلمينَ فثبتَ ثبوتَ الْجِبَالِ ، أقبلَ فارسٌ من قريشٍ ضَرَبَ يَدَه اليُمنى فَقَطَعَها ، أخذَ مُصعبٌ اللواءَ بيدِه اليسرى ، وأرادَ أن يَحميَ اللواءَ بجَسَدِه ليظلَّ مرفوعاً.. ضَرَبَ عدوُّ اللهِ يَدَه اليُسْرى بسيفِه فقطعَها... لكنّ مُصْعباً استمرّ على إصرارِه... حَمَلَ اللواءَ وَضَمَّهُ بما تبقّى من يديه المقطوعَتين... وهو يُرَدِّد:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] قام أبو قميئة ، قاتلُ مُصْعَبٍ ، وحمل رُمْحهُ.. قَذَفَهُ في جَسَدِ مُصعب الطاهرِ.. سَقَطَ مُصعبٌ... كاد يَسْقُط معه اللواءُ... لكنّ رجلَين من الأنصارِ رَفعاه قبلَ سُقوطِه.. ثم سَلَّمهُ الرسولُ ﷺ إلى عليٍّ رضي الله عنه...

بَعدَ هذهِ المعركةِ... قَبْلَ أَنْ يَهْدأَ غُبَارُها..

نزلتِ الآيةُ الكريمةُ في شهداء أحد: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

حُمِلَ مُصْعَبٌ الشهيدُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «لقد رأيتُكَ بمكةَ وما بها من أحدٍ أرَقَّ حُلَّةً ولا أَحْسَنَ لمّةً منكَ، ثم أَنْتَ مشعثَ الرأسِ في بُرْدَةٍ».

لم يَجِدِ المسلمون ثوباً يُكفنونَه به، كانوا إذا غَطَّوا رأسَه ببُردتِه ظهرتْ رِجلاه، وإذا غَطَّوا رِجلَيه ظَهَرَ رَأسُه، فأمرَ النبيّ ﷺ بتغطيةِ رأسِهِ بِبُرْدَتِه وسَتْرِ رِجْليه بنوعٍ من النباتِ الطيبِ الرائحةِ ويُدعى الإذْخِر.

كان عُمر مصعب يومئذ أربعينَ سنة أو أكثرَ بقليل... اسْتُشْهِدَ رضي الله عنه بعد أن قضى في الإسلام أربعةَ عشرَ عاماً، قضى منها ١١ سنةً في مكة وثلاثَ سنوات في المدينة، فقد أسْلَم وكان

عمره ٢٦ سنةً ، ترك مَباهِجَ الدنيا وأموالَها ونَعيمَها.. مضتْ حياتُه في سبيلِ اللهِ حتى اسْتُشْهِدَ وسقى بدمِهِ الشريفِ تُرابَ «أحد» الخالد.

نزلت في مصعبٍ وأصحابِه شهداءِ المعركةِ آياتٌ كريمة ، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

* * *